مجلة الإحياء، المجلد: 18، العدد: 21، جوان 2018، ص - ص: 129 – 142
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

ظاهرة الإلحاد المعاصر بين المسلمين وأسبابها العلمية والفلسفية

The phenomenon of contemporary atheism among Muslims and its scientific and philosophical reasons

د/ نور الدين بولحية
كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1
bn77.tk@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2017/12/26 تاريخ القبول: 2018/04/25

الملخص:
يهدف هذا المقال إلى التنبيه إلى ظاهرة الإلحاد المعاصر، أو [الإلحاد الجديد] بين المسلمين، والتي تستخدم كل الوسائل التقنية الحديثة للانتشار بين الشباب والمثقفين مستعملة جميع الأساليب التي تنسجم مع طبيعتهم، ومع نوع الحياة الجديدة التي وفرتها لهم تقنيات العولمة.
وهو يدرس الظاهرة من ناحية المظاهر التي تتجلى فيها سواء كانت علمية جادة أو سوقية ساخرة.. كما يدرسها من زاوية أسبابها العلمية والفلسفية..

الكلمات المفتاحية:
الإلحاد الجديد؛ العولمة الثقافية؛ العقيدة؛ الحداثة؛ العلم؛ الفلسفة؛ الدين.

Abstract:
This article aims to draw attention to the phenomenon of contemporary atheism, or [new atheism] among Muslims, using all modern technical means for spreading among young people and intellectuals used all methods that harmonize with nature, and with a sort of new life by them globalization techniques

It examines the phenomenon in terms of appearances that reflect whether a serious scientific or satirical market. It also examined from the angle of scientific and philosophical reasons.

key words:

new atheism; cultural globalization; creed; modernity; science; philosophy; religion.

مقدمة:

من التحديات الكبرى التي يواجهها الواقع الإسلامي ما يطلق عليه ظاهرة الإلحاد المعاصر، أو [الإلحاد الجديد] [New Atheism]، والتي تستخدم كل الوسائل التقنية الحديثة للانتشار بين الشباب والمثقفين مستعملة جميع الأساليب التي تنسجم مع طبيعتهم، ومع نوع الحياة الجديدة التي وفرتها لهم تقنيات العولمة.

وللأسف فإن هذه الظاهرة - مع انتشارها السريع - لم تجد الاهتمام الكافي لمواجهتها والحد منها، بل وجدت بين المسلمين من يدعمها، ويوفر لها الغطاء الذي يسمح لها بالانتشار.

فكل ما نراه من تطرف وتخلف وعنف وفتاوى شاذة ليس سوى وقود لإشعال نار الإلحاد التي تريد أن تقضي على هذه الأمة، وعلى سر صمودها وقوتها، ذلك أن الذين يتربصون بالمسلمين، ويكيدون لهم المكايد، لا يهدفون فقط إلى تشويه الإسلام، ولا إلى نشر السلوكات المنحرفة التي تتناقض معه، وإنما يهدفون قبل ذلك وبعده إلى إخراجهم من الإسلام إخراجا كليا، وأجلى صورة لذلك الإخراج هو أن يجعلوهم أدوات لنشر الإلحاد وكل القيم اللاإنسانية الصادرة عنه.

وذلك لعلمهم أن سر قوة المسلمين تكمن في قوة إيمانهم وعقيدتهم، فهي التي حمت ظهرهم في كل القرون السالفة، وهي التي يمكنها وحدها أن تجعلهم قوة عظمى يحسب لها كل حساب.

وهذا يدعونا إلى التساؤل عن السبل التي نواجه بها هذه الظاهرة، وهل تكفي فيها الأساليب العتيقة التي مارسها المتكلمون في القرون السالفة، أم أننا نحتاج إلى أساليب جديدة أكثر تطورا، وأكثر انسجاما مع العقل الجديد، والتقنيات المتاحة له.

ومن البداهة أنه لا يمكن الجواب عن هذا السؤال إلا بعد معرفة الظاهرة نفسها، وتجلياتها في الواقع، والعوامل التي تمدها وتنشرها وتوفر لها المدد المادي والمعنوي.

ذلك أن المواجهة الحقيقية لأي ظاهرة تستدعي التعرف الدقيق عليها، وعلى أسبابها وعللها، فالتشخيص مقدمة العلاج، وكلما كان التشخيص أدق كان العلاج أكثر نجاعة.

بناء على هذا نحاول في هذا المقال – باختصار – التطرق للعناصر التالية:

1. مظاهر الإلحاد المعاصر بين المسلمين.
2. الأسباب العلمية للإلحاد المعاصر بين المسلمين.
3. الأسباب الفلسفية للإلحاد المعاصر بين المسلمين

أولا ـ مظاهر الإلحاد المعاصر بين المسلمين.

تختلف الإحصائيات المهتمة برصد هذه الظاهرة بين المسلمين اختلافا شديدا بين من يهون منها، فيجعلها في أفراد محدودين لا يكادون يعدون، ولا يكاد اعتبار وجودهم يشكل ظاهرة تحتاج إلى بحث ودراسة، وبين من يرى عكس ذلك.

فالأزهر ـ مثلا ـ وهو مؤسسة رسمية كبرى، يهون من هذه الظاهرة، ويعتبر أفرادها عددا شاذا ومحدودا في المجتمع، ففي يناير من العام 2014م أصدرت دار الإفتاء المصرية تقريرا حول أعداد الملحدين في الوطن العربي، حيث ذكرت أن عددهم في مصر هو 866 ملحدا، وفي المغرب 325، وفي تونس 320، وفي العراق 242، وفي السعودية 178، بينما كان عددهم 170 في الأردن، 70 في السودان، 56 في سوريا، 34 في ليبيا، و32 في اليمن.. وهو ما يساوي 2293 ملحدا بين سكان الوطن العربي البالغ عددهم وقتها قرابة 400 مليون نسمة[1].

في نفس الوقت الذي نجد فيه مؤسسة أخرى ترى عكس ذلك تماما، ففي تاريخ قريب من تاريخ إحصائية الأزهر، أي في عام 2012، أجرت مؤسسة [وين جالوب] استطلاعا للرأي أثبتت من خلاله أن خمسة بالمائة من المواطنين السعوديين – أي أكثر من مليون شخص وقتها بحسب تعدادهم – يعتبرون أنفسهم [ملحدين مقتنعين]، وهي نفس النسبة في الولايات المتحدة، بينما يعتبر 19 بالمائة من السعوديين – حوالي ستة ملايين نسمة – أنفسهم [غير متدينيين][2].

وهكذا نشرت صحيفة [العرب] اللندنية بتاريخ 29 مارس 2014 دراسة حول انتشار الإلحاد في السعودية، ذكرت فيها أن نسبة الملحدين في المملكة هي الأعلى بين الدول العربية والإسلامية حيث تصل إلى 6بالمائة من إجمالي السكان[3].

وربما يكون سبب هذا الاختلاف هو الطرق التي يحكم بها على شخص ما أنه ملحد، فبينما يرى الأزهر أنه منحصر فيمن يدعو إلى الإلحاد، أو يمارسه علانية، أو عبر منشورات تلقى جماهير من المتابعين، وبذلك تختص تلك الإحصائية وشبيهاتها برؤوس الإلحاد، أو قادته وزعمائه، بينما تشير الإحصائيات الأخرى إلى الجمهور الذي يهتم بطروحات الملاحدة، وقد يبدي إعجابه بها.

ومن الأمثلة على ذلك، والتي قد تدعم القائلين بخطورة الظاهرة وانتشارها ما قام به موقع BBC العربي عام 2015 حيث قارن بين بعض النسب الرسمية المعلنة لأعداد الملحدين، وما أحصاه التقرير من نسب مخالفة تماما على صفحات التواصل الاجتماعي فقط.. فهناك صفحة [الملحدين التونسيين]، التي تضم أكثر من 10 آلاف متابع، و[الملحدين السودانيين] التي تضم أكثر من 3000 متابع، و[شبكة الملحدين السوريين] التي تضم أكثر من 4000 متابع.

وهكذا يتراوح عدد متابعي الحسابات في تويتر، والتي يعلن أصحابها عن إلحادهم بين المئات والآلاف، فمثلا يتجاوز عدد متابعي حساب [أراب أثيست] 8000 متابع.

زيادة على هذا الاختلاف، فإن الإحصاء الدقيق لهذه الظاهرة يصعب باعتبار المظاهر التي من خلالها يحكم على شخص أو جهة ما بكونها ملحدة، وهل هي في مجرد التصريح بإنكار وجود الله، أم أن مجرد طرح تساؤلات حول أساسيات العقيدة والدين يعرض صاحبها لهذه التهمة.

بناء على هذا نجد مظهرين للإلحاد الصريح في واقعنا المعاصر، وعبر استخدام وسائل الإعلام المختلفة:

1 ـ المظهر الساخر للإلحاد المعاصر:

وهو المظهر الذي يستعمل السخرية وسيلة للدعوة إلى الإلحاد، ويدعو إليه مستعملا اللغة الساخرة، أو الرسوم الكاريكاتورية، أو المشاهد التمثيلية، أو الصور المختلفة مع التعليق الساخر عليها، والذي يطلق عليه بعضهم مصطلح [الإلحاد السوقي]

وللأسف فإن هذا المظهر يكتسب خطورة كبرى، للغته البسيطة، ولانسجامه مع عامة الناس، ولذلك نرى كثرة متابعيه مقارنة بالمظهر الآخر، والذي يكتسي ثوب الجد والفلسفة والعلمية.

وهذا المظهر يستغل الانحرافات الفكرية والسلوكية المرتبطة ببعض الجماعات الإسلامية ليجعل منها مادة دسمة للسخرية من الدين نفسه، ومن حقائقه

القطعية، ولذلك يحشد الكثير من المعجبين به ممن تؤذيهم سلوكات أولئك الأفراد أو تلك الجماعات.

وقد بدأ هذا المظهر من الإلحاد في صورة روايات وقصص ساخرة من الدين، ثم تحول بعد ذلك؛ وبعد ظهور التقينات الحديثة، إلى أساليب أخرى أكثر خطرا، وأكثر بساطة، وأكثر شعبية.

ومن الأمثلة على ذلك تلك المادة الساخرة التي ينشرها التونسي [محمد كريم العبيدي][4]، والذي يعرف نفسه بكونه [مسلم سابق ملحد]، والذي يشاركه في صفحته أكثر من 10000 مشارك، فقد نشر عدة فيديوهات بوجه مكشوف يسخر فيها من الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام تحت أمثال هذه العناوين: [هل هذا هو الله؟]، و[هل محمد حقيقة أم أسطورة؟]، و[هل كان نبي الإسلام عقيما؟]، و[عيد الذبح].. وهو يصدر كل فيديوهاته بقوله: (السلام على من اتبع العقل ونبذ النقل وفكَر)[5]

ونحب أن ننبه إلى أننا عندما نذكر هذه النماذج لا نذكرها باعتبارها تمثل واقعا إسلاميا حقيقيا، فقد يكون للأيدي المعادية يد فيها، مثلما لها اليد الطولى في التفريق بين المدارس الإسلامية.. ولكنا مع ذلك ننبه إلى خطورة توفير مثل هذه المادة لتلك الجماهير العريضة التي تنساق وراء أمثال هذه المادة، من باب الفضول أولا، ثم تجد نفسها، وقد لصقت بها آثارها من حيث لا تشعر.

ولهذا تحتاج المواجهة لهذا المظهر من مظاهر الإلحاد إلى وضع البدائل التي ترضي أذواق الجماهير، وذلك بتوفير مادة ساخرة من الإلحاد نفسه، كما قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[6].

2 ـ المظهر الجاد للإلحاد المعاصر:

وهو المظهر الذي يستعمل اللغة العلمية والفلسفية للدعوة للإلحاد، سواء بكتب ينشرها، أو فيديوهات لأشرطة علمية تحمل في ظاهرها الطابع العلمي أو الفلسفي، وتناقش الأطروحات الدينية بطريقة تبدو مهذبة نوعا ما، وإن كانت لا تخلو من السخرية، فالاستهزاء بالدين والسخرية منه طابع غالب على الملحدين، لا فرق بينهم في ذلك إلا في درجة السخرية ومدى بذاءتها.

وعند زيارة المكتبات الخاصة بالملاحدة في المواقع الجادة المخصصة لهم أمثال موقع [قناة الملحدين بالعربي][7] أو [شبكة الملحدين العرب][8] نجد الكثير من

العناوين من أمثال رسالة [لماذا أنا ملحد؟][9]، وهي رسالة كتبها الأديب المصري إسماعيل أدهم سنة 1937، والذي يعتبر من العرب الأوائل الذين جاهروا بإلحادهم في العصر الحديث.

ثانيا ـ الأسباب العلمية للإلحاد المعاصر بين المسلمين:

من أهم الأساليب التي يستقطب بها لإلحاد المعاصر جماهيره استخدامه للغة العلم باعتبارها لغة موضوعية لا علاقة لها بأي دين أو أيديولوجيا، وهو يستخدم هذه اللغة لسبب ولغير سبب، مدعيا أنه ينطلق من الحقائق العلمية لإثبات مقتضيات الإلحاد.

ومن مغالطاته في هذا الباب حصره العلم في منتجات العلم التجريبي، مع احتقاره لكل المعارف التي يدل عليها العقل، مع أنه يستحيل أن يقوم المنهج التجريبي نفسه من دون العقل، ولهذا نراهم يعرفون الإلحاد بأنه (إن ما لم تثبته التجربة العلمية يكون خاطئًا وتافهًا ومنقوصًا من أساسه، ونحن لا نؤمن إلاَّ بالعلم وبالمنهج العلمي، فما تراه العين وتسمعه الأذن وتلمسه اليد، وما يمكن أن يُقاس بالمقياس والمكيال والمخبار وما إلى ذلك من أدوات هذا الحق. وأما ما عدا ذلك مما يخرج عن دائرة العلوم التجريبية ومنهجها فلا نصدقه)[10].

ولهذا نرى المواقع والمنتديات ووسائل الإعلام الجديد كلها تدعي أن أكثر العلماء ملاحدة، أو لاإدرائيين نتيجة كون العلم يدعم للإلحاد، أو أن الإلحاد نتيجة للحقائق العلمية، مع أن الحقيقة مغايرة تماما، فقد أثبتت التقارير أن 65 بالمائة من الحائزين على جوائز نوبل هم من أهل الأديان و24بالمائة ربوبيين والملحدين واللاادريين لا يتجاوزون 11 بالمائة فقط [11].

وبناء على هذا نرى الملاحدة يدعون المنافاة التامة بين العلم والدين، وأن من أراد الدين، فعليه بطرح العلم، وكأنهم يخيرون جماهيرهم بين قبول لغة العلم أو قبول لغة الدين، وأنه لا توجد لغة ثالثة تجمع بينهما، ومن أمثلة ذلك قول جلال العظم: (إن الدين بديل خيالي عن العلم)[12].

بل إنه لا يكتفي برؤيته وشهادته التي تمثل ذاته في هذا، وإنما يعتبر التناقض بين العلم والدين قضية مسلمة لدى رجال الدين أنفسهم، فيقول: (يعترف رجال الدين الإسلامي وكتابه بوجود تناقض ظاهري –على أقل تعديل- بين العلم الحديث وثقافته ومناهجه من ناحية، والدين الإسلامي)[13].

وقد وصف الشيخ عبد الرحمن الميداني صاحب هذه المقولات وغيرها بقوله عن جلال العظم - ومثله سائر دعاة الإلحاد -: (وهو في كل ذلك يتستر بعبارات التقدم

العلمي والصناعي والمناهج العلمية الحديثة، ولا يقدم من البينات إلا قوله مثلاً: إن العلم يرفض هذا، أو لا يُسلم بهذا، أو يثبت هذا، دون أن يطرح مناقشات علمية نقدية تتحرى الحقيقة)[14].

ومن خلال استقراء أنواع الطروحات العلمية التي يركز عليها الملاحدة في الدعوة للإلحاد نرى اهتمامهم بنوعين منها:

1 - علوم الحياة:

وهي العلوم التي تهتم بدراسة الحياة، وأشكالها المختلفة، ووظيفتها، وكيفية تفاعل الكائنات الحية مع بعضها، ومع البيئة المحيطة بها، وهي في أصلها لا علاقة له لا بالإيمان، ولا بالإلحاد، لكن التفكير والاعتبار والتفلسف هو الذي يحولها إلى مادة لأحدهما دون الآخر، ويستحيل الجمع بينهما جميعا، لاستحالة اجتماع المتناقضات.

ولهذا نجد نسبة كبيرة من أعلام البيولوجيا من المؤمنين، لا من الملاحدة، حتى داروين الذي يتشبث الملاحدة بنظريته لم يثبت قط إلحاده، بل ثبت إيمانه، يقول العقاد: (أما داروين فلم يزعم قط أن ثبوت التطور ينفي وجود الله، ولم يقل قط أن التطور يفسر خلق الحياة، وغاية ما ذهب إليه أن التطور يفسر تعدد الأنواع الحيوانية والنباتية، وفي ختام كتابه عن أصل الأنواع يقول أن الأنواع ترجع في أصولها إلى بضعة أنواع تفرعت على جرثومة الحياة التي أنشأها الخلاق)[15].

وهكذا نرى كبار أعلام نظرية التطور التي يدعي الملاحدة أنها سبب إلحادهم لا تتنافى في ذاتها مع وجود الله، ففي إستطلاع علمي هام أجري في العام 1997، واستهدف عيّنة مكوّنة من 1000 عالم كانوا على قائمة (رجال ونساء العلم الأمريكان – American Men and Women of Science)، تبيّن أنّ 40 بالمائة من العلماء يعتقدون أنّ الإنسان وغيره من الكائنات الحيّة تطوّروا عبر الزّمن، ولكنّهم يعتقدون أيضًا أنّ الخالق أرشد ووجّه عمليّة التطوّر.

وهذا يدل على عدم مصداقية ارتباط الإلحاد بنظرية التطور، وإلا لاتفق جميع من يقول بها على ذلك، لكن الإلحاد الجديد يعرض عن كل أولئك العلماء من المؤمنين، ويختار من بينهم بانتقائية عجيبة من ربطوا هذه النظرية بالإلحاد من أمثال العالم الألماني ارنست هايكل Ernst Haeckel الذي زاحمت كتبه التي ترجمت إلى الكثير من لغات العالم كتب دارون نفسها، وسبب ذلك ليس دقتها العلمية، وإنما بسبب

تصريح صاحبها بالإلحاد، ولهذا لاقت كتبه ضجة في أوساط معاصريه من المسيحيين.

ومن أهم الشخصيات التي ينتقيها الإلحاد الجديد على مثل هذه الأسس كاهن الإلحاد الأكبر في العصر الحديث [لينتون ريتشارد دوكينز] الذي راح يحول من نظرية دارون من مجرد كونها محاولة لفهم سر نشأة الحياة وتعدد أنواعها إلى نظرية فلسفية تحاول أن تزيح الله من إيجاد الحياة، بل من إيجاد كل شيء.

ولذلك نجد كتب دوكينز تحظى من الشهرة والانتشار بين الملاحدة ما لا تحظى به كتب أعلام نظرية التطور الكبار أنفسهم، ومن أمثلتها، والتي يتعلق بها الملاحدة العرب خصوصا، ولها انتشارها الواسع في المواقع المختلفة [الجين الأناني] الذي حاول فيه تصحيح ما وصفه بسوء الفهم للداروينية، ومنها [النمط الظاهري الموسع] (1982)، و[صانع الساعات الأعمى] (1986)، و[النهر الخارج من عدن] (1995)، و[الصعود إلى جبل اللااحتمال] (1996)، ونحسب أنه لولا امتطاؤه لهذه النظرية واستثمار لها في الدعوة للإلحاد ما كانت له هذه الشهرة، ولا المقروئية.

2 ـ علوم المادة:

وهي العلوم التي تدرس كل ما يتعلق بالمادة وحركتها والطاقة وأنواعها، وتحاول أن تفهم الظواهر الطبيعية والقوى المؤثرة في سيرها، وصياغة المعرفة في قوانين دقيقة مضبوطة.

وهي بهذا التعريف علم بحت لا علاقة له بالفلسفة، ولا بالدين، ولا بالإيمان، ولا بالإلحاد، ولكنها لا تكتفي بذلك، بل تضم إليه محاولة التعرف على حقيقة الكون ومصدره وصيروته وغيرها من المباحث التي تجعلها تميل إلى الفلسفة والدين.

ومن هنا كان للتوجه الديني أو الإلحادي للباحث الفيزيائي تأثيره في توجيه الاكتشافات الفيزيائية وجهة دينية أو إلحادية، ولهذا توزع أعلام الفيزياء الكلاسيكية أو الحديثة بين فيزيائيين مؤمنين، وفيزيائيين ملحدين.

وكمثال على ذلك نيوتن مؤسس الفيزياء الكلاسيكية، فقد كان من المؤمنين، كما نص على ذلك مؤلفا كتاب [العلم في منظوره الجديد] ، فقد تساءلا (.. هل لله مكان في مثل هذا الكون؟)، ثم أجابا عليه بقولهما: (لقد كان نيوتن يؤمن بذلك، فحاول أن يحتفظ بمكان للألوهية في نظامه الميكانيكي الخاص بالسماوات، ففي رسالة وجهها إلى الدكتور ريتشارد بنتلي (Richard Bentley) في عام 19692 أكد نيوتن على أن الله ضروري لإحداث حركة الكواكب وإرساء البنية الأصلية

للمجموعة الشمسية قائلا: (إن حركات الكواكب الراهنة لا يمكن أن تكون قد انبثقت من أي علة طبيعية فحسب، بل كانت مفروضة بفعل قوة عاقلة)[16].

في مقابل هذا نجد تعلق الإلحاد المعاصر، وخاصة النسخة العربية منه بالفيزيائي ستيفن هوكينج Stephen Hawking الذي يحاول الملاحدة أن يلغوا به كل الفيزيائيين التقليديين والمحدثين، كما عبر عن ذلك الملحد التطوري [ريتشارد دوكينز] بقوله: (لقد طرد دارون الإله من البيولوجيا، ولكن الوضع في الفيزياء بقي أقل وضوحاً، ويُسدد هوكينج الضربة القاضية الآن!!)[17].

وقد عبر [هوكينج] عن هذا الدور الذي وكل إليه في نشر الإلحاد باسم الفيزياء بقوله: (تماما مثلما فسر دارون ووالاس كيف أن التصاميم المعجزة المظهر في الكائنات الحية من الممكن أن تظهر بدون تدخل قوة عظمى، فمبدأ الأكوان المتعددة من الممكن أن يفسر دقة القوانين الفيزيائية بدون الحاجة لوجود خالق سخر لنا الكون، فبسبب قانون الجاذبية فالكون يستطيع ويمكنه أن يُنشيء نفسه من اللاشيء، فالخلق الذاتي هو سبب أن هناك شيء بدلا من لاشيء، ويفسر لنا لماذا الكون موجود، وكذلك نحن)[18].

والحيلة التي اعتمدها هوكينغ أو من يقف خلفه هي التعلق بما يطلق عليه الأكوان المتعددة Multiverse، وهي تشبه إلى حد كبير ما قام به أصحاب نظرية التطور في علم الأحياء من استبدال (الخلق) بالتطور الصدفي والعشوائي في الكائنات الحية.

ثالثا ـ الأسباب الفلسفية للإلحاد المعاصر بين المسلمين::

مع كون كبار الفلاسفة في التاريخ من المؤمنين، بل من الموحدين، إلا أننا نجد موجة الإلحاد المعاصر تحاول أن تصور أن الفلسفة تقتضي الإلحاد، ولا يصدق على هؤلاء إلا ما عبر عنه فرانسيس بيكون (1561 - 1626م) بقوله: (إن القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد، ولكن التعمق فيها ينتهي بالعقول إلى الإيمان)[19].

ومن خلال استقراءالطروحات الإلحادية التي تتمظهر بالمظهر الفلسفي يمكننا أن نجد الأطروحتين التاليتين:

1 ـ ادعاء التعارض بين الإيمان والعقل:

لا يهتم دعاة الإلحاد الجديد بكل أولئك الفلاسفة الذين لم يجدوا إلا أن يقروا بوجود الله، بل يتوصلوا من خلال البحث العقلي المجرد إلى الكثير من صفاته وكمالاته، وإنما راحوا يوهمون الجماهير أن البحث الفلسفي والتساؤلات المتفرعه عنه تقتضي خلو الذهن من الله، فالله يشكل ـ بحسب تصورهم ـ أكبر عقبة تحول بين العقل والبحث الفلسفي.

وقد عبر عن ذلك [كاي نيلسن Kai Nielsen] في كتابه الذي يهتم به الملاحدة الجدد كثيرا [الفلسفة والإلحاد] والذي نشره سنة 1985م، فقال: (العقيدة الدينية غير معقولة. ومن ثم ينبغي علينا رفضها)[20]، ويذكر أنه (أنه لا يشعر بأدنى حاجة إلى اعتناق أية عقيدة دينية)

وعلى هذا المنهج سار الملاحدة الجدد من العرب، فقد كتبت وفاء سلطان في كتابها المعنون بـ [نبيك هو أنت... لا تعش داخل جبته]، والذي أثار ضجة كبيرة عام 2007، والذي مجدت فيه الملاحدة باعتبارهم في رحلة بحث دائم عن الحقيقة، تقول معبرة عن ذلك: (عندما يرفض الملحدون وجود الله يعترفون بعجزهم عن إدراكه، ويعترفون أيضاً بعظمته غير القابلة للإدراك. الإلحاد أصدق من أي عقيدة تدعي أنها توصلت إلى الله، بل واحتكرته دون غيرها من العقائد)[21]

وهي تدعي في كتابها أن (الأديان تجرد الإنسان من قدرته على طرح السؤال، ما أدى إلى زيادة الشعوب الجائعة المريضة الجاهلة في المجتمعات الإسلامية، دون أن تحاول التغيير، لأنها تُقدس التعاليم التي أدت إلى ذلك الوضع)[22]

وهكذا نجد الحداثيين يسثمرون في هذه النظرية ليشككوا في الحقائق القرآنية القطعية، ومن أمثلة ذلك قول سيد القمني: (الطالب يدخل إلى حصة الفيزياء أو حصة البيولوجي فيدرس أن الخلية الأولى والسائل المنوي والنواة تكونت خلال ملايين السنين بكذا وتتفاعل كذا إلخ، يخرج من هذه الحصة يدخل إلى حصة التربية الإسلامية أو المسيحية ليقال له: إن الدنيا قد تكونت في ستة أيام ثم استوى الله على العرش كما في القرآن أو استراح في اليوم السابع، كما في العهد القديم أو في المسيحية واليهودية، هذه الشيزو فرينيا تجاوزها العالم)[23].

ب ـ عدم جدوى الطرح الإيماني:

ومن أحسن الأمثلة على هذا النوع من الأغلوطات الفلسفية [حسن حنفي] في مشروعه الكبير الذي أطلق عليه [من العقيدة إلى الثورة] والذي دعا فيه إلى تجاوز الإيمان التقليدي إلى الإيمان الثوري، وهو يقصد به تجاوز البحث عن الله والتعرف عليه إلى البحث عن الإنسان وتلبيه حاجاته النفسية والاجتماعية، فهو يعتبر (الله

والجنة والنار والآخرة والحساب والعقاب والصراط والميزان والحوض كلها ألفاظ يجب تجاوزها.. فألفاظ الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامة كلها ألفاظ تُجاوز الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها كل الناس، ولا تؤدي دور الإيصال)[24].

وهكذا نجد الكثير من المشاريع الحداثية خاصة ذات التوجه اليساري تتسم بهذا الطابع، ومن أمثلتها صادق جلال العظم الذي قال في كتابه [نقد الفكر الديني]: (إن كلامي عن الله وإبليس والجن والملائكة والملأ الأعلى لا يُلزمني على الإطلاق بالقول بأن هذه الأسماء تشير إلى مسميات حقيقية موجودة ولكنها غير مرئية)[25]

ومثله طيب تيزيني[26]، الذي سمى مشروعه البديل عن الدين [مشروع رؤية جديدة للفكر العربي منذ بدايته حتى المرحلة المعاصرة]، ثم جدده في [من التراث إلى الثورة]، ومنها مشروع حسين مروّة، صاحب [النزعات المادية في الفلسفة الإسلامي].. وغيرها من المشاريع التي تحاول أن تضع بدائل لله تتمثل في الاهتمام بالإنسان والمجتمع والحداثة.

الخاتمة

من خلال هذا العرض الموجز لظاهرة الإلحاد المعاصر وأسبابها يمكننا الخروج بالنتائج والتوصيات التالية:

1. من خلال استقراء المؤلفات والمواقع المنتسبة للملاحدة يمكننا أن نجد صنفين من مظاهر الإلحاد: الصنف الجاد الذي يتلبس بلباس العلم والفلسفة، والصنف الساخر أو السوقي الذي يطفح بألوان الحقد على الدين وعلى المنتسبين له من غير أي مضمون علمي يمكن مناقشته.
2. يستعمل الإلحاد الجديد آخر التطورات العلمية، وخاصة في الفيزياء الحديثة، أو في البيولوجيا ليضرب بها الحقائق الدينية، مستعملا المناهج الفلسفية القديمة بعد
3. لمواجهة ظاهرة الإلحاد المعاصر نحتاج إلى تأسيس علم كلام جديد، يراعي الشبهات المعاصرة، ويطلع على الأطروحات العلمية والفلسفية التي ينشرها، مع استعمال أساليب أكثر بساطة ووضوحا حتى تصل لعوام الناس، وتحميهم من الهجمة الإلحادية الشرسة التي تستهدفهم.

4. للمواجهة الجادة لظاهرة الإلحاد المعاصر نحتاج إلى مراجعة تراثنا لتطهيره من كل الخرافات والدجل الذي التصق به، ومكن للحداثيين والملاحدة والتغريبيين من استثماره لنشر شبهاتهم.

المصادر والمراجع:

1. الإلحاد بعض مدارسه والرد عليها، أ. رأفت شوقي، دط، دت، ج 2 ص 73، 74
2. الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، مؤسسة الإنتشار العربي.
3. الإلحاد مشكلة نفسية، عمرو شريف، نيوبوك للنشر والتوزيع، ط2، 2016.
4. التراث والتجديد. حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الطبعة الخامسة 2002.
5. خرافة الإلحاد، دكتور عمرو شريف، ص 302، الطبعة الأولى 1435هـ2014م مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
6. رب الزمان، سيد القمني، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة.
7. صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، 1412 هـ - 1992 م (ص12-13)
8. الصراع من أجل الإيمان: انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام، جيفري لانج، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، 2009.
9. عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي،
10. العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م
11. العلم في منظوره الجديد لروبرت م .أغروس و جورج ن. ستانسيو، ترجمة كمال خالايلي، طبع سلسلة عالم المعرفة، ورقمه في السلسلة (134)
12. قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408 هـ - 1988 م.
13. قصة النزاع بين الدين والفلسفة: توفيق الطويل، دار النهضة العربية.
14. كتاب 100 سنة من جوائز نوبل، دار اطلنطيك، 2003، ص 57.
15. مختصر تاريخ الزمن، ستيفن هوكينج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة القراءة للجميع،

16. معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
17. مُلحدون محدثون ومعاصرون، د. رمسيس عوض، مؤسسة الإنتشار العربي , 1998.
18. نبيك هو أنت... لا تعش داخل جبته، وفاء سلطان، دط، دت.
19. نقد الفكر الديني. دار الطليعة بيروت الطبعة العاشرة 2009، ص17.

المواقع الإلكترونية: وهي كثيرة منها:

1. الإلحاد والوطن العربي.. أرقام وتعليلات، إسلام فرحات، موقع إسلام أون لاين، بتاريخ 14 يناير 2016، على الرابط [https://islamonline.net/14795]
2. الإلحاد والعالم الموازي.. الإنترنت ساحة التقاء، إسلام فرحات، موقع إسلام أون لاين، بتاريخ 20 يناير 2016، على الرابط [14857https://islamonline.net/]
3. سلسلة [السخرية من الإلحاد] في منتدى التوحيد بقلم [دكتور باحث] على الرابط: http://www.eltwhed.com/

الهوامش:

(1) الإلحاد والوطن العربي.. أرقام وتعليلات، إسلام فرحات، موقع إسلام أون لاين، بتاريخ 14 يناير 2016، على الرابط [https://islamonline.net/14795]
(2) المرجع السابق.
(3) الإلحاد والعالم الموازي.. الإنترنت ساحة التقاء، إسلام فرحات، موقع إسلام أون لاين، بتاريخ 20 يناير 2016، على الرابط [14857https://islamonline.net/]
(4) عرف نفسه على قناته في اليوتيوب بأنه من مواليد 1966 في تونس، وأنه درس الابتدائية والإعدادية في فرنسا، والعلوم الدينية في الشرق الأوسط .درست التاريخ والمعتقد بشكل عصامي، سافرت إلى عديد الدول بحثا عن المعرفة الإنسانية. معتقدي الإيمان الإنساني الفردي وتوجهاتي السياسية تكنوقراطي.
https://www.youtube.com/watch?v=2F0vvEqxDdw
(5) هذه الفيديوهات وغيرها كثير موجودة على صفحته على اليوتيوب.
(6) سورة هود: 38.
(7) على الرابط التالي:
http://arabatheistbroadcasting.com/program/books
(8) https://www.il7ad.org/vb/forumdisplay.php?f=.50
(9) رد على هذه الرسالة العلامة محمد فريد وجدي في مقالة بعنوان [لماذا هو ملحد]
(10) الإلحاد بعض مدارسه والرد عليها، أ. رأفت شوقي، دط، دت، ج 2 ص 73، 74
(11) كتاب 100 سنة من جوائز نوبل، دار اطلنطيك، 2003، ص 57.
(12) نقد الفكر الديني. دار الطليعة بيروت الطبعة العاشرة 2009، ص17.

(13) المرجع السابق: (ص23)
(14) صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الطبعة: الخامسة، 1412 هـ - 1992 م (ص12-13)
(15) عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، ص54.
(16) العلم في منظوره الجديد، ص54.
(17) Another ungodly squabble. The Economist. 05-09-2010. Retrieved 06-09-2010.
(18) مختصر تاريخ الزمن، ستيفن هوكينج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة القراءة للجميع، ص 165.
(19) الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، مؤسسة الإنتشار العربي، ص 58.
(20) مُلحدون محدثون ومعاصرون، د. رمسيس عوض، مؤسسة الإنتشار العربي، 1998، ص 100.
(21) نبيك هو أنت... لا تعش داخل جبته، وفاء سلطان، دط، دت، ص37.
(22) المرجع السابق.
(23) رب الزمان، سيد القمني، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ص (21).
(24) التراث والتجديد. حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط5، 2002 ، ص121.
(25) نقد الفكر الديني، ص59..
(26) الدكتور طيب تيزيني (م 1934) مفكر سوري، من أنصار الفكر القومي الماركسي، يعتمد على الجدلية التاريخية في مشروعه الفلسفي لإعادة قراءة الفكر العربي منذ ما قبل الإسلام حتى الآن..